

# «امرأة تريد طبياً» تقف عائقاً أمام جهود تأنيث طب النساء

## أخطاء الأطباء الذكور تتخفى وراء تجارب الطبيبات الفاشلة في التوليد



### الكفاءة الطريق الوحيد لاستعادة الثقة

لنا نندش، ونندم على كل لحظة فرض علينا عيشها بمسئتي الأخرى والتقاليد. ويبدأ الهروب من الإطار بغريزة الأفكار والتقاليد الخاطئة المتوارثة، وعدم التوقف داخل هذه الأطر وإخضاعها إلى مقياس الواقع وتغيراته.

### المربوب من الإطار

يرى خبراء علم النفس، أن هناك معوقات تكونت لدى المرأة تراقبها دوماً وتسيطر على تفكيرها، فقد يكون عند الفتاة أثناء طفولتها نسق من الأفكار والاتجاهات محوره وجود شخص قوي يدعمها ويحميها ويجعلها حبيسة ذلك الدور، فلا تعتمد على نفسها ولا على امرأة أخرى فهي «السندريلا» التي تنتظر النجاة على يد الشخص القوي، وهو الرجل.

أكد هاشم بحري، أستاذ الطب النفسي، أن معارك المرأة تتلخص في الفك من الوعي الزائف وعقدة سندريلا والشعور بالافتقار، واقتناع المرأة بغيرها من النساء يستلزم تعرفها على ذاتها وخروجها من الإطار الذي صنعه لنفسها.

وشدّد بحري في حديثه لـ«العرب» على أن شعور الأنثى بالضعف يجعلها تسقطه بشكل لا إرادي على أشباهها من الإناث، وهو حصاد لتحقير المجتمع لها سنوات طويلة، فجعلها لا تثق بنفسها في الأكلب، ومن ثم لا تثق في قدرات امرأة أخرى، وفقاً لنظرية القهر الطوعي للمذات الذي عانت منه.

ولا يستبعد أستاذ الطب النفسي، الجانب الفطري لميل المرأة للطبيب الرجل، فالفطرة جعلتها تثق بالرجل في ما يتعلق بصحتها لأنه سيكون أكثر حرصاً عليها قائلاً «الأقطاب المشابهة تتنافر والمختلفة تتجاذب، ما أدى بالتعامل الأنثوي أن يتنازل لصالح التضاد الجنسي».

وحذر من أن فقدان المرأة للثقة بنفسها وبنات جنسها، يعود عليها في نهاية المطاف بمزيد من التهميش والإقصاء، فكم من الطبيبات المتخصصة يمكن أضعاف الخبرة والكفاءة أكثر من نظرائهن الرجال، لكن التهميش والإقصاء واداً موهبتهن.

والمرأة حين تحتفي بإنجازات طبية (امرأة مثلها) فهي توطن المجتمع على قبول المزيد من الطبيبات الناجحات، وربما يساعد ذلك على تأنيث تلك المهنة كما كانت بالماضي، فتتقن السيدة بنفسها وبنات جنسها، أفضل لها من شكوى ظلم المجتمع وإعادة إنتاجه ضد من هم أضعف منها من النساء.

قرار شخصي لا يحق لأحد مصادرته، والمشكلة أن المرأة عندما تختار مراجعة الطبيب لأنه أكثر خبرة تقول لأن «الطبيبات جزرات»، فالنعميمات التي تنطلق لتبرير الخيارات هي ما يسيء للنساء لا الخيار بحد ذاته.

وترى سامية الساعاتي، أستاذة علم الاجتماع، أن المرأة في المجتمعات العربية، تعاني من التناقض والازدواجية بين ما تقوله وما تقتنع به وتمارسه عملياً، وهي تؤيد المساواة بين الرجل والمرأة، وعند التطبيق يستحضر ذهنها المخزون الثقافي الاجتماعي فتعيد الطبيبة المرأة إلى أدوارها التقليدية الضعيفة وتضع الرجل في مرتبة أعلى.

وأوضحت الساعاتي لـ«العرب»، أن فرص التعليم المتساوية لا تعني بالضرورة فرص الوصول إلى مواقع العمل نفسها، والقبول بدخول المرأة مهنة الطب لا يعني وصولها لمكانة أعلى من الرجل أو حتى مساوية.

عبر الرسام الإسباني، بيدل بوريل، في لوحته «الهروب من الإطار»، أنه عندما نخرج من الإطار الذي صنعه

وأوضحت أم حمادة لـ«العرب»، أن السيدات في قريتها مجبرات على طبية الوحدة الصحية، لكنهن لا يقنن في تشخيصها، بالرغم من أن القرية المجاورة لهن بها طبيبة متمرسية في تشخيص المرض وعلاجه، لكنها لا تقبل حالات خارج قريتها بسبب الضغط الشديد عليها.

وقال رامي رياض، استشاري أمراض نساء وتوليد، لـ«العرب»، إن أفضل الأطباء في مجال علاجات النساء والإخصاب بالحرم، من الرجال، لطبيعة المهنة الخاصة التي تتطلب ممارستها ساعات طويلة، حيث يستمر العمل أكثر من 16 ساعة متواصلة أحياناً، ما يستلزم مجهوداً عضلياً وجسدياً وذهنياً كبيراً قد لا تتحملة المرأة.

بدأ حضور المرأة يتوسع في الطب النسائي منذ منتصف التسعينات تقريباً لكن ممارسة المرأة للطب كانت قبل ذلك بكثير، وتحديدًا عام 1930 وكانت أول طبيبة معروفة في مجال النساء والتوليد هي هيلانة سيداروس بيشنجيغ من الدكتور نجيب محفوظ، أول طبيب لأمراض النساء والتوليد في مصر.

وأكدت محمود لـ«العرب»، أنها وبنات جيلها لا ينظرن إلى طبيبة النساء باعتبارها نموذجاً ناجحاً، فلا توجد طبيبة رسخت لنفسها مكانة وذاق صحتها مثل الأطباء الموجهين الآن على الساحة. ويظهر ذلك جلياً في إحدى البنائيات بحبي راق في منطقة المعادي الجديدة بجنوب القاهرة، ففي الوقت الذي تتكدس فيه النساء حتى مطلع النهار على قوائم الانتظار في عيادة طبيب شاب لم يتجاوز الأربعين من عمره، تبدو العيادة المقابلة له والتي تمتلكها طبيبة في ذات التخصص خالية من الحلات باستثناء امرأة أو اثنتين ربما ذهبتا زهماً من الانتظار بعيداً عن الطبيب.

ولمّا سألته عن الساعاتي، وهي امرأة ريفية بسيطة من قرية «سبك الضحك»، إحدى قرى محافظة المنوفية بشمال القاهرة، تنظّر دورها في العيادة الممتلئة وتسال المتواجدين عن الساعة.

تشير السيدة الخمسينية، إلى أنها ذهبت لطبيبة نساء بالوحدة الصحية في قريتها لشكواها من نزف رحمي، لكنها لم تحسّن وأصيبت بانيميا حادة وفقر دم فاضطرت للمجيء لهذا الطبيب.

وأوضحت أم حمادة لـ«العرب»، أن السيدات في قريتها مجبرات على طبية الوحدة الصحية، لكنهن لا يقنن في تشخيصها، بالرغم من أن القرية المجاورة لهن بها طبيبة متمرسية في تشخيص المرض وعلاجه، لكنها لا تقبل حالات خارج قريتها بسبب الضغط الشديد عليها.

وقال رامي رياض، استشاري أمراض نساء وتوليد، لـ«العرب»، إن أفضل الأطباء في مجال علاجات النساء والإخصاب بالحرم، من الرجال، لطبيعة المهنة الخاصة التي تتطلب ممارستها ساعات طويلة، حيث يستمر العمل أكثر من 16 ساعة متواصلة أحياناً، ما يستلزم مجهوداً عضلياً وجسدياً وذهنياً كبيراً قد لا تتحملة المرأة.

بدأ حضور المرأة يتوسع في الطب النسائي منذ منتصف التسعينات تقريباً لكن ممارسة المرأة للطب كانت قبل ذلك بكثير، وتحديدًا عام 1930 وكانت أول طبيبة معروفة في مجال النساء والتوليد هي هيلانة سيداروس بيشنجيغ من الدكتور نجيب محفوظ، أول طبيب لأمراض النساء والتوليد في مصر.

صحتها فحملتها أسرتها إلى المستشفى لتكتشف أنه لم تكن لديها أورام، بل كانت في بداية فترة الحمل.

لكن ناشطات في حقوق المرأة تعترضن على إصاق صفة الإهمال بالطبيبة فقط ويشرن بسخرية إلى أن ذلك التعميم غير عادل وسيعيد المرأة إلى قرون سحيقة لتقوم بما فعلته أغنوديس، أول طبيبة في أثينا عاشت في القرن الرابع قبل الميلاد؛ حيث تكثرت بزى رجل كي تمارس مهنة الطب التي كانت محظورة على النساء بائناً في ذلك الوقت.

هؤلاء يشذون على ضرورة عدم الوقوع في فخ التعميم والتنميط لطبيبات النساء ويرفضن فكرة الأحكام المطلقة التي تؤكد أفضلية الطبيب الرجل على المرأة، لأنها مقولات تقلل من شأنهن، ويلقن إلى أن الأمر يرجع إلى كفاءة الطبيب وليس جنسه. تستشهد الناشطات بدراسة أجرتها جامعة هارفارد على نحو 1.5 مليون شخص يعانون من أمراض مختلفة، بأن استجاباتهم للعلاج كانت أفضل عندما عالجهم طبيباً.

الأطباء الذكور لديهم أيضاً أخطاء، لكنها تتوارى خلف أعدادهم الكبيرة مقارنة بأعداد الطبيبات، وعلى سبيل المثال هناك ما يزيد على عشرين شكوى قضائية في نيابة محافظة المنيا بمصر، جميعها ضد أطباء نساء وتوليد، تسببوا في ضياع حلم الأمومة لكثير من السيدات.

وتم تداول مقاطع وأخبار لأطباء يتحدثون بالبريضة على غرار الدكتور الأميركي لورانس نصار، طبيب فريق الجمنان النسائي، والدكتور جورج تيندال، أخصائي أمراض النساء في المركز الصحي الطلابي في جامعة جنوب كاليفورنيا، لاختراقهما «البروتوكول» الطبي عن طريق لمس النساء الشابات بطريقة غير لائقة خلال القيام بالفحص النسائي، مما يعرضهن لمشاكل نفسية.

### بؤرة الظل

يرجع البعض تفضيل النساء للأطباء الذكور إلى جملة من الأسباب، أبرزها واقع الدول العربية التي تمارس الفصل والتمييز بين الرجل والمرأة، حتى النساء اللاتي يلجأن لطبيبات إنمسا بفعل ذلك مجرد الحياء أو التمسك بمبادئ دينية أو قلة الأطباء في القرى وليس لاقتناعهن بأن كفاءة هذه الطبيبة أو تلك لا تقل عن مقدره هذا الطبيب.

يلقي بعض الأطباء اللوم على الطبيبة نفسها التي ارتضت بهذا الدور وبقيت في بؤرة الظل، دون أن تسعى لأن تخرج إلى الضوء لتثبت مقولة الفيلسوفة النسوية الفرنسية سيمون دي بوفوار «نحن لا نولد نساء، بل نصبح كذلك».

وترى رباب محمود (محاسبة من مصر) أن الطبيب أكثر تمكناً ويتمتع بالسرعة في التعامل مع المواقف الصعبة، خاصة عند لحظات الولادة أو في العمليات الجراحية.

تقفة المرأة في الطبيب ترسخ تهميش وإقصاء الطبيبة، لاسيما في طب التوليد والأمراض النسائية، حيث تستأمن السيدات الأطباء الذكور على حياتهن وحيات أطفالهن، في حين تهين من عيادة الطبيبات الجزرات حسب وصفهن.

شيرين الديداموني  
كاتبة مصرية



«ما يؤلم الشجرة ليس الفأس التي تقطعها، ما يؤلمها حقاً أن يد الفأس من خشبها». ..حكمة قديمة ربما تجسد العلاقة بين النساء وبعضهن، خصوصاً في مجال طب النساء والتوليد، فقد كان المعتاد أن يأتي التشكيك في كفاءة المرأة الطبية من الرجل الذي يرى فيها منافساً محتملاً، لكن الغريب أن تتولى نساء الحرب (بالوكالة) ضد الطبيبات لصالح الطبيب الرجل.

على النقيض من «الكليسيات» التي تستخدمها مجموعة من النساء في المجتمعات العربية والداعية إلى رفض الرجال في حياتهن، متبنيات أيديولوجيا مناصرة للمرأة، تحت شعار «نحن بنات فيمستت» و«المرأة تستطيع» و«إنني الأقوى والأهم» و«مدينة خالية من الرجال»، تمارس نساء أخريات سلوكيات تكسر الهيمنة الذكورية ويدعمن استمراريتهن عن طريق اضهاد بنات جنسهن من طبيبات النساء والتوليد.

يلفت الانتباه انتشار ظاهرة لجوء العديد من النساء في الدول العربية لطبيب أمراض نساء، بدلاً من طبيبة بدوى أن الرجال يتقنون مهنتهم بشكل أفضل من النساء، ليثبتن لمن حولهن أن ثقافة الذكورية ليست حكراً على الرجل، بل هي توليفة من الأفكار والسلوكيات يؤمن بها الرجال والنساء على السواء.

شعور الأنثى بالضعف يجعلها تسقطه بشكل لا إرادي على أشباهها من الإناث، وهو حصاد لتحقير المجتمع لها سنوات طويلة

وعلى العكس من ذلك بدأت النساء في المجتمعات الغربية في الاعتماد والثقة بالطبيبات، حيث كشف استطلاع للرأي صادر عن الإتحاد الفيدرالي في بريطانيا، أنه «عند تعذر وجود طبيبة نسائية فإن المريضة تفضل أن تفحصها قابلة أو طبيبة ممارسة عامة على الاستشاري الرجل»، وحتى في الولايات المتحدة، تفضل قرابة 50 بالمئة من النساء التعامل مع طبيبات.

الأمر الذي يستدعي التوقف، هو كيف للمرأة التي تطالب بالتحرك من سطوة الرجل وأن تأتمنه على أدق خصوصياتها في ما يتعلق بجسدها؟

### تجارب سلبية

توترت المهندسة الشابة جيسكا عند ذهابها إلى المستشفى الخاص بمنطقة المهندسين بالقاهرة، للكشف الدوري لدى الطبيب المتابع لحالتها من بداية الحمل، بعدما علمت أن طبيبها سافر لمدة شهر لحضور مؤتمر بالخارج.

وخلال دقائق معدودة دخلت العنبرية في حالة بكاء هستيري عندما أخبرتها الممرضة أن الطبيبة المساعدة للطبيب هي من ستباشر الحلات في العيادة وتتولى عمليات الولادة.

زوج جيسكا بربر للمتواجدين سبب البكاء بهاجس يلازمها منذ بداية الحمل



الخوف من الطبيبة يفوق الخوف من آدم المخاض